المملكة المغربية
وزارة الثقافة والاتصال
Royaume du Maroc
Ministère de la Culture
et de la Communication

ⵜⴰⴳⵍⴷⵉⵜ ⵏ ⵍⵎⵖⵔⵉⴱ
ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵏ ⵓⵙⵙⵏⵙⵍ ⴷ ⵜⵣⵔⴼⵜ
Kingdom of Morocco
Ministry of Culture
and Communication

قطاع الاتصال

سلسلة دفاتر الصحراء المغربية
العدد: 21

الساقية الحمراء ووادي الذهب

طبعة جديدة - 2018

صاحب الجلالة الملك محمد السادس
نصره الله

المملكة المغربية
وزارة الثقافة والاتصال
Royaume du Maroc
Ministère de la Culture et de la Communication
Kingdom of Morocco
Ministry of Culture and Communication
قطاع الاتصال

سلسلة دفاتر الصحراء المغربية العدد: 21

الساقية الحمراء

محمد الغربي

طبعة جديدة 2018

سلسلة دفاتر الصحراء المغربية

الساقية الحمراء

إصدارات وزارة الثقافة والاتصال - قطاع الاتصال
مديرية البوابة الوطنية والتوثيق - قسم التوثيق - مصلحة الإنتاج والتوزيع

الطبعة الأولى : 1975
الطبعة الثانية : 2018

978-9954-625-96-5 / 2018MO2594

طباعة: مطابع المناهل - الرباط

شارع علال الفاسي، مدينة العرفان، الرباط، المملكة المغربية

www.mincom.gov.ma - www.maroc.ma - www.sahara.gov.ma

الفهرس

القسم الأول : الوسط الجغرافي 7
طبيعة أرض الصحراء الغربية أو الجيولوجيا الصحراوية 8
المناخ 8
المياه 8
النبات 9
الحيوانات 9
القسم الثاني : نبذة تاريخية 11
المحاولات الاستعمارية 14
الكفاح المغربي لاستعادة الصحراء 16
القسم الثالث: الحياة البشرية 23
الرقيبات 24
2) تكنة 27
3) اولاد دليم 28
4) القبائل المفردة 28
اللهجة 28
التنظيم الاجتماعي 29
سكنى القبائل 29
القسم الرابع : الحياة الاقتصادية 31
الفوسفاط 31
2) البترول 33
3) البوتاس و النحاس 33
4) الانتاج الزراعي و الثروة الحيوانية 34
5) الصيد البحري 35
الصناعة 35

القسم الأول : الوسط الجغرافي

الحدود: تقع الصحراء المغربية على شاطئ المحيط الأطلسي تجاه جزر الكاناري وهي تنقسم بصفة غير طبيعية إلى ثلاث مناطق:

1) قسم مستقل وهو إقليم طرفاية الذي كان خاضعا لحماية إسبانيا والذي وقع دمجه في القطر المغربي عاصمته «طانطان»ومساحته 256000 كيلومتر مربع. يحده شمالا وادي درعة وشرقا خط الطول الحادي عشر غرب غرينتش وجنوبا خط العرض 27 درجة و 40 دقيقة شمالا وغربا البحر الأطلسي.

2) الساقية الحمراء عاصمتها العيون، ومساحتها تقدر ب 82000 كيلومتر مربع وتصل في الجنوب إلى خط العرض 026.

3) مستعمرة وادي الذهب اوريودي اورو وعاصمتها فيلاسيزنورس أو الداخلة، تقدر مساحته ب 190000 كيلومتر مربع. يحد شرقا بخط الطول 12 0 غرب غرينتش وهذا الحد يمتد إلى مدار السرطان، ففيه تصبح الحدود على شكل دائرة تترك لموريتانيا مركز سبخة (ضاية) ايجيل وتنقسم من الخط الثالث عشر غرب غرينتش. أما في الجنوب فتحد مستعمرة وادي الذهب بخط العرض 21 درجة و20 دقيقة ويمتد حتى التقائه بخط الطول المذكور.

وعلى كل حال، فإن هذه الحدود التي سطرت على الخرائط الجغرافية ليست لها سوى قيمة سياسية ولا تكون أبدا حدودا طبيعية وإنما هي حدود اتفاقية مبنية على أساس أربع معاهدات، اثنتان منهما سريتان وقعتا بين فرنسا وإسبانيا في عامي 1904 و 1905 واثنتان علنيتان وقعتا بينهما في عامي 1900 و 1905.

طبيعة أرض الصحراء الغربية أو الجيولوجيا الصحراوية

في أواخر الطور الأول من التاريخ الجيولوجي كانت درجة الرطوبة في الصحراء الغربية مرتفعة جدا حيث كانت الأنهار تجري طوال السنة. فكان هناك نهر كبير يحمل اسم الساقية الحمراء وكذلك كان وادي درعة نهرا جاريا.

ونتج عن الحركات العنيفة التي وقعت في الطور الثالث أن استحال هذا الإقليم إلى ما نراه عليه من جذب وامحال فتقسم بذلك الى صورة على الشكل التالي :

- الحمادة التي هي بمثابة مصبة قاحلة تتكون من الأحجار ورمل الوديان،
- والرك وهو سهل حجري يابس،
- والعرق وهو مرتفعات من الرمل يأتي بها الريح من «الرك»،
- والسبخات وهي عبارة عن بحيرات مالحة تحتوي في بطونها على كميات هائلة من الملح، وتستقر فيها بعض المياه خلال فصل الشتاء القصير حيث يرتادها رجال القبائل للرعي.

المناخ

إن مناخ هذه المنطقة من الصحراء يعتبر أخف وطأة بالنسبة للصحراء الكبرى، فشواطئها تمتاز بطقس ترطبه رياح المحيط الأطلسي ويعتبر الطقس المشترك بين الصحراء والأطلنتيك صالحا لشفاء الأمراض الرئوية حسب التجارب التي قام بها سكان هذه المنطقة.

أما في الداخل فتكون الفروق الحرارية كبيرة. ففي الليل، يكون البرد على أشده (1-) وفي النهار تكون الحرارة كذلك على أشدها (+ 51) وقد تنحبس الأمطار سنوات، وعلى العموم فالمعدل هو: 40 ملم في فيلاسينيروس و30 ملم في الكويرة و43 ملم في العيون.

المياه

أما مياه الصحراء الغربية فهي محدودة للغاية. فباستثناء وادي درعة الموجود بالجزء المحرر والذي تأتي ينابيعه من جبال الأطلس، فالوديان الأخرى التي تعبر الصحراء في اتجاهها إلى المحيط الأطلسي لا تحمل مياها إلا نادرا، فمثلا وادي الساقية الحمراء يبقى سنة أو سنتين جافا إلى ان يسقط المطر صدفة في إقليم «الحمادة»، فتغمر المياه في بعض الفترات شواطئه وتحدث فيضانات على أطرافه وعليه أقيمت مدينة العيون العاصمة. وبجانب وادي درعة ووادي الساقية الحمراء، يوجد وادي الشبيكة ووادي الغات ووادي الخط والعطاوبي، ثم هناك الآبار والصايات والحاسيات والعيون والأكدير والمفتيات والضايات. وأهم الواحات هي المسيد والحقونية والفارسية ثم تشلا في أقصى الجنوب، وحول هذه الواحات أقيمت مناطق شبه حضرية كما انها تعتبر أماكن لتمركز الجيش الإسباني.

النبات

هناك أنواع كثيرة من النباتات في الصحراء الغربية ونذكر منها بالخصوص النباتات التي ترعى فيها مواشي القبائل الرحالة وهي تسمى بالسكوم و«الكرتوفا» و «الطرزي» و «اسيكان» و «اللبينة» و «الكرسا» و «الكردي» و «الكرسيم» و «الحرسيا» و «السدرة».

أما النباتات التي يستعملها السكان لصنع الدواء فهي «التوترارت» و «الميوسا» و «الطلحا» و «التمات» و «الرمز»، الخ.

الحيوانات

توجد في الصحراء الغربية حيوانات متنوعة تتكيف مع طقسها ومناخها فهناك:

1) الحيوانات القاضمة من سناجب وفئران ويرابيع ودلادل.
2) الحيوانات ذات الحوافر من خنازير وغزلان وأروية.
3) الحيوانات آكلة اللحوم من فهود وضباع وبنات آوى وثعالب.
4) الحيوانات آكلة الحشرات من قنافد وحيات.
5) الطيور من نعام وحجل وبجعان ونسور.
6) الحشرات من ذباب ونمل وعقارب وعناكب.

(لقد كانت الحركة السياحية في الساقية الحمراء تقوم على أساس تنظيم رحلات للصيد، وكان مسموحا لرجال القبائل بحمل السلاح للصيد أيضا، ولكن صدر في عام 1970 قرار من الحاكم العسكري يمنع اصطياد الحيوانات الوحشية، وكان الغرض من ذلك هو جمع السلاح من السكان بعد أن سجلت بعض الحوادث الفدائية ضد رجال «المهاريست» الإسبان وضد بعض المتعاونين معهم).

القسم الثاني : نبذة تاريخية

يبدأ تاريخ سكان هذا الإقليم عند مقدم قبائل رحالة على ظهور الجمال من صحراء لوبيا وإفريقيا الشمالية في العهد الروماني.

وقد ازدهرت التجارة عن طريق القوافل التي كانت تخترق الصحراء طولا وعرضا. وقد جلب الجمل من فارس والشام لاستخدامه في هذا الميدان. وابتداء من القرن الثالث المسيحي استولى برابرة زناتة وصنهاجة على الصحراء الغربية إلى تخوم السينغال والسودان. وفي زحفهم هذا، أخذوا يحفرون الآبار ويزرعون النخيل ويشيدون المراكز الحضرية في الواحات.

وما زال إلى الآن عدد كبير من سكان هذه الناحية ينحدرون من برابرة زناتة ويقومون بزرع الواحات والكرارات.

وفي سنة 681 ميلادية وقع الفتح العربي على يد عقبة بن نافع ووصل إلى ما هو أبعد من الساقية الحمراء، فبدأ انتشار الإسلام واتسعت دعوته يوم وصَلَ جيش عربي تحت قيادة حسان بن النعمان، وقد أرسله خلفاء بني أمية من دمشق.

ومن هناك وقع التحام بين هؤلاء الجنود المتحضرين والمثقفين مع السكان البدائيين الرعاة. وكانت بعده وحدة روحية وسياسية وجنسية. وهكذا تكون سكان الصحراء من أصل عربي وبربري ممتزجين مع الاحتفاظ شيئا ما ببعض التقاليد والعوائد، ولكن لغتهم وكتابتهم عربية ودينهم هو الإسلام، (على المذهب المالكي) كبقية أجزاء الوطن المغربي.

وقد شيد الحكام العرب الأولون الطرق والمواصلات الصحراوية في الساقية الحمراء ووادي الذهب وموريتانيا وحفروا الآبار التي مازالت إلى الآن موجودة بها والتي مكنت القوافل من أن تسافر في الصحراء لتصل إلى مجاهيل إفريقيا.

وفي القرن الثامن الميلادي تأسست دولة الأدارسة بقيادة إدريس الأول فكانت وحدة المغرب والصحراء، وبدأت خطوط المواصلات تتصل مباشرة من بقاع إفريقيا السوداء إلى المراسي الواقعة بين المغرب والسنغال - فظهر ازدهار تجاري بين مملكة غانا وسجلماسة التي كانت تعتبر آنذاك المركز التجاري الهام للمغرب. وكانت البضائع الصادرة من مصر والشرق الأوسط تعبر كذلك عبر الصحراء الغربية نحو المغرب. ونتج عن هذا التبادل التجاري بين المغرب وإفريقيا السوداء تبادل في الثقافة والأفكار. فانتقل إلى مدن الجنوب من تومبكتو وولاتا وغاروا رجال العلم واستقروا بها فأخذوا ينشرون المعرفة والحضارة ودلّتهُمْ زمرة من الفنانين حملت إلى الزنوج علوم الفن وأساليب الزخرفة المتنوعة. وقد بنى أبو إسحاق الطويجن الشاعر والنحات معا، مسجدا كبيرا على الطريقة المغربية سنة 1325 بمدينة غاوو بدعوة من الإمبراطور كونغو موسى. وقد زوده ملك المغرب بما يحتاجه من الأدوات ومواد الزخرفة.

وقبل ذلك عندما تأسست دولة المرابطين وقع إصلاح ديني بالصحراء الغربية تحققت على إثره وحدة قبائلها، فكانت هذه الوحدة تضم اللمتونيين والكزوليين والمعقليين وبني هلال وبني سليم وبني حسان. وقد انفصمت في القرن الحادي عشر للميلاد يوم أن سقطت دولة المرابطين، فتفرقت جموع هذه القبائل في الصحراء وكونت البطون التي نراها الآن تقطن بها وهي: تكنة والرقيبات وأولاد دليم والقبائل المتفرقة الصغيرة.

وهنا يختلط تاريخ تكنة والرقيبات بتاريخ الدولة المغربية إلى أن تتدخل الجيوش الأوروبية في قرننا هذا.

يمكن تلخيص المراحل التاريخية التي مرت بها الصحراء المغربية على النحو التالي: وإن كانت كل حقبة من الحقب تحتاج إلى صفحات عديدة أو كتب بكاملها:

- كتب هيرودوت عن هذه المنطقة وقال بأن سكانها لهم نفس أوصاف إخوانهم في الشمال ونفس الشيء كتبه ديودور الصقلي في القرن الأول الميلادي. وقد أسس حانون القرطاجي مستعمرة عند مصب الساقية الحمراء، وكانت عقدة للمواصلات مع الشمال.

في عام 681 م اجتاز عقبة بن نافع وادي درعة لمحاربة المجوسيين. وقد تزوج من أحد بنات الصحراء ولازال حفدته إلى اليوم في الساقية الحمراء.

- في عام 720 م وصل القائد حبيب بن أبي عبيدة إلى الصحراء في طريقه إلى السنغال. وإليه تنتسب قبيلة كنتة العربية.

- ظهر المذهب الخارجي في الساقية الحمراء، ثم نزحت قبائل عربية خارجية إلى هذه الجهة بعد القضاء على ذلك المذهب في الشمال. وأخذ الطابع العربي يتغلغل في هذه المنطقة.

- عين الأدارسة أحد الأمراء - وهو عبد الله بن إدريس الثاني - عاملا على الصحراء الغربية، فنظم أحوالها وأسس عدة مراكز حضرية مثل (تمدلت) التي كانت ترتادها القوافل المتجهة نحو السودان، و(بيشفية) جنوب درعة، وحفر الآبار العديدة. وهكذا فابتداءً من القرن التاسع فتحت طرق للمواصلات ربطت بين المغرب وأقطار السودان، وكان الهدف منها هو إيصال الدعوة الإسلامية وتنشيط التجارة. وقد ترك كل ذلك آثاره في الميدانين الثقافي والاجتماعي.

- بعد انهزام أحد الأمراء المغاربة (زيري بن عطية) أمام الحاجب المنصور بن أبي عامر الأندلسي اتجه للساقية الحمراء وأصبح أميرا لتلك الجهات منذ عام 997.

- قامت دعوة المرابطين في الصحراء الغربية نفسها، وأول عمل قام به مؤسس هذه الدولة المغربية هو محاربة أمير الساقية الحمراء (مسعود وانودين). وانضمت قبائل الصحراء كلها بعد ذلك للمرابطين الذين اتجهوا شمالا وأسسوا إمبراطورية عاصمتها مراكش وجنوبا قضوا على مملكة غانا وأسسوا بها دولة إسلامية.

- ظلت الساقية الحمراء على ولائها للمرابطين وللموحدين كباقي جهات المغرب إلى أن قام أحد الثوار بإعلان عصيانه على المخزن سنة (1252) ويدعى علي بن يدر واجتمعت عليه القبائل بالصحراء، كما حدث في أماكن أخرى من البلاد نظرا لضعف السلطة المركزية. ولكن علي بن يدر لم يلبث أن انضم للملك الموحدي أبي دبوس.

- وفي عام 1284 وجه السلطان المريني يعقوب بن عبد الحق أحد قواده وهو محمد بن يوسف عاملا على ما وراء درعة، واستقرت الأحوال بعد ذلك لمدة طويلة. وكان المرينيون يجددون عمالهم باستمرار، وفي عهدهم وصلت القبائل العربية إلى هذه الجهات.

- في عهد الدولة السعدية ظهر الاهتمام الأكبر بالمناطق الجنوبية من المغرب، نظرا لفقدان الأندلس التي كانت تشغل من قبل سلاطين المغرب، ونظرا لعزم ملك الدولة على إرسال جيوش الفتح الإسلامية إلى إفريقيا الغربية. وفي عام 1543م حل مؤسس الدولة السعدية بالساقية الحمراء وهو في طريقه إلى موريتانيا. وفي عهد أحمد المنصور وصل أول والٍ على درعة وما وراءها القائد ابن عزوز. كما وصلت حامية مهمة بقيادة محمد بن ابراهيم بن بجة (1580م)، ثم عين السلطان ابنه أبا فارس خليفة له في تلك الجهات. وفي عام 992م وصل رئيس الشرطة بفاس ابن سالم على رأس جيش كثيف قام بإخضاع الساحل الإفريقي حتى مصب نهر السنغال، وعين بعد ذلك القائد مسعود النبيلي عاملا على درعة والصحراء، وأعلن عن إسقاط الضرائب، وشجع التجارة.

- ومع ضعف الدولة السعدية ظهر ثوار في كثير من مناطق المغرب وتمزقت الدولة، وكان في سوس بودميعة الذي استطاع أن يخضع كل الجنوب الغربي لحكمه ونهض بمقاومة البرتغال وأجلاهم.

- وعادت الوحدة المغربية بظهور الدولة العلوية، وقام المولى إسماعيل (1678 م) بالتجول في أنحاء الصحراء كلها ووفد عليه جميع رؤساء القبائل، فعين منهم من وجد فيه الأهلية، ثم نصب ابنه عبد المالك خليفة على درعة وأعمالها وعين له 300 فارس وبعد سنتين استبدله بأخيه المولى الشريف. وفي عهده قام ثائر بالساقية الحمراء والتجأ إلى أولاد دليم فقتلوه وأرسلوا رأسه إلى الخليفة بدرعة.

- وبموت المولى إسماعيل عادت الخلافات والفتن إلى المغرب ولكن المولى عبد الله توجه إلى درعة في نطاق عمله لتوحيد الأمة وأعاد الأمور إلى نصابها (1730م)، وقام ابنه سيدي محمد بن عبد الله، الذي تزايدت الأطماع الاستعمارية في عهده، بزيارة المنطقة (1755م) ثم توجه القائد (المحجوب بن قايد) على رأس حامية استقرت بالساقية الحمراء.

وفي عهد المولى عبد الرحمان برزت الأطماع الإسبانية، ولجأ المخزن إلى الوسائل السلمية في الوقت الذي سلح فيه السكان وحثهم على مقاومة أي اعتداء. وانتهت المشكلة بعقد معاهدة 23 ماي سنة 1867 التي تسمح للإسبان بالصيد على طول الساحل الصحراوي، وبإقامة (استراحة) على الساحل.

وأول المستعمرون هذه المعاهدة على نحو جعلهم يتطلعون دوما لاحتلال الصحراء. وقد حاول كثير من التجار النزول بعروضهم إلى الساحل فكانوا يعتقلون ويرسلون إلى العاصمة.

- وفي عهد المولى الحسن قام في عام 1881م بحركة في سوس ودرعة. وبنى ميناء في أرض تكنة لتزويد الجيش المغربي والسكان بما يحتاجونه. وقد أقام هناك شهرا عين خلاله رؤساء على كل القبائل، وجعل من مدينة تزنيت عاصمة لكل المنطقة.

- وبعد عودته وجه عدة سفارات إلى إسبانيا قصد وضع حد لأطماعها (كانت قد أسست شركة استعمارية لاستثمار هذه المناطق والمتاجرة معها).

- وحاول الانجليز النزول بطرفاية بعد أن أقاموا مركزا تجاريا في جزيرة قريبة منها، ولكن السلطان أنهى المشكل عن طريق المفاوضات وانسحب الانجليز من المنطقة، وقد نصت المعاهدة «على أن طرفاية وما يوجد جنوبها كلها من حساب المغرب».

المحاولات الاستعمارية

إن الطمع الاستعماري، وخاصة الإسباني منه، يرقى إلى أربعة قرون مضت. فقد وصل مع بداية القرن السادس عشر تجار ومغامرون. ومنذ احتلال جزر الكناري أصبح هم إسبانيا هو وضع رجلها فوق الساحل المغربي الجنوبي، ولقد كانت هناك اتفاقيات قديمة تسمح لإسبانيا بذلك من طرف البرتغال والبابا :

1. معاهدة الكوسوماس (1479م) بين إسبانيا والبرتغال تسمح للأولى باحتلال كناريا والجنوب المغربي، والثاني باحتلال موانئ المغرب وغينيا.

2. معاهدة سانترا (1508م) سمح فيها لإسبانيا باحتلال سبتة ومليلية والصحراء، وللبرتغال باحتلال بقية التراب المغربي.

3. بظهور «الشركات الاستعمارية» في هولندا وانجلترا وفرنسا اقتضى الأمر عقد اتفاقيات عديدة، وبعد الهزيمة المنكرة للبرتغال في معركة وادي المخازن بالمغرب تسابق الهولنديون والأنجليز والإسبان لأخذ نصيبهم من الغنيمة، وحاولت هولندا دون جدوى احتلال الصحراء المغربية، بينما وضعت فرنسا قدمها على مصب نهر السنغال وأصبحت إسبانيا من الضعف إلى الحد الذي لجأت فيه إلى الوسائل الدبلوماسية لحمل المخزن على قبول احتلالها للصحراء (سفارات 1766 و1780 و1799).

4. معاهدة تطوان (1860م): بعد هزيمة المغرب أمام الجيش الإسباني المستقر بسبتة عقدت معاهدة صلح، وحاول الإسبان بهذه الوسيلة تحقيق حلمهم، وعاودوا مطالبهم في سنة 1878. وفي سنة 1883 تأسست « الشركة الإفريقية للمستعمرات» ونزل جنود إسبانيا في وادي الذهب. وفي الثامن من مارس هجم أولاد دليم معززين بالمخازنية على الحماية وأفنوها وأحرقوا جميع البيوت والمنشآت وأعاد الإسبان المحاولة، فتصدت لهم قبيلة الشناكلة وهزمتهم في 23 يونيو 1884.

5. وجهت الحكومة الإسبانية في 26 دجنبر 1884 م مذكرة إلى كل دول أوروبا تخبر بأنها قد بسطت حمايتها على ممتلكات السلطان في الصحراء بقصد إقرار الأمن. ورفض المغرب تلك المذكرة، وبعث سفراءه لمختلف الدول الأوروبية. وفي 3 نوفمبر 1885 نزل الكولونيل يوني في الداخلة، ثم غادر المكان أمام مقاومة الحامية المغربية التي قدمت من بوجدور. وعاد الكولونيل في نفس السنة، وطلبت الحكومة المغربية انسحابه. وتكونت لجنة مختلطة للبحث عن قلعة إسبانية خيالية، وبقى الجيش المغربي باسطا نفوذ المخزن على كل تلك الجهات.

6. التقت مع بداية القرن المطامح الإسبانية مع مخطط فرنسا لاحتلال إفريقيا الغربية وفي نطاق من السرية وقعت معاهدة بينهما لاقتسام المغرب، ثم أصبح الأمر معروفا بعد أن دخلت انجلترا (التي أعطي لها حق احتلال مصر) وألمانيا (التي أعطي لها الكامرون وأجزاء من إفريقيا).

والمعاهدات الموقعة بين إسبانيا وفرنسا هي :

- الاتفاقية الرامية إلى تحديد الممتلكات الفرنسية والإسبانية في المغرب وفي السواحل الإفريقية في خليج غينيا (باريس 27 يونيو 1900م).
- اتفاقية سرية حول اقتسام المغرب، وإطلاق يد إسبانيا في صحرائه (باريس 3 أكتوبر 1904).
- اتفاقيتان بضمان سيادة السلطان على ممتلكات الدولتين في المغرب (3 أكتوبر 1904 و1 شتنبر 1905).

- اتفاق سري (1 شتنبر 1905) يسمح لهما بالإشراف على الشؤون المالية والاقتصادية في المغرب وعلى منع وصول الأسلحة إليه وحصاره.
- التصريح الفرنسي الانجليزي المتعلق بمصر والمغرب (لندن 8 أبريل 1904).
- اتفاق سري فرنسي انجليزي (نفس التاريخ) يسمح لإسبانيا باحتلال سبتة ومليلية والصحراء التي هي من ايالات المخزن.
- مذكرة فرنسية سلمت للحكومة الألمانية بتاريخ 8 يوليوز 1905 في شأن المصالح الفرنسية بالمغرب وهي تؤكد سيادة السلطان على مجموع التراب المغربي.
- مؤتمر الجزيرة الخضراء (7 أبريل 1906) الذي لم تحترم الدول المستعمرة قراراته القاضية بضمان سيادة الدولة المغربية.
- رسالة وزارة الخارجية للسيد فيتشر كاتب الدولة الألماني في الخارجية التي تؤكد بأن فرنسا وإسبانيا تعتبران بأن المغرب « يشمل جميع القسم من إفريقيا الشمالية الممتد بين الجزائر وإفريقيا الغربية الفرنسية ويشمل ريودو أورو الإسبانية».
- معاهدة الحماية التي فرضت على المغرب (30 مارس 1912م) والتي أدت إلى تمزيق أرضه وتوزيعها بين فرنسا وإسبانيا.

الكفاح المغربي لاستعادة الصحراء

بعد توقيع معاهدة الحماية، ودخول الدولة المغربية تحت حماية الإسبان والفرنسيين ووضع مدينة طنجة تحت حكم دولي، أصبح من الصعب مواجهة الظروف الجديدة إلا بواسطة الكفاح الذي اتخذ أشكالا متعددة، وكان الشيخ ماء العينين الذي عينه السلطان خليفة له قدْ وزّع ظهائر التولية على القبائل ونظم الصفوف وبنى مدينة السمارة.

وهكذا فأول بادرة للثورة المغربية أتت من الساقية الحمراء نفسها حيث اجتمعت القبائل حول الشيخ وزحفتْ نحو الشمال لفك الحصار عن السلطان. وقد تم للصحراويين احتلال مدينة مراكش وإجلاء الجيوش الفرنسية عنها عام 1913. والتحمت ثورة الأطلس التي قام بها موحا وحمو وابنه (ولد الفاسية) بالمجاهدين الصحراويين، وبقيت الثورة مشتعلة بقيادة أبطال عظام ضد الفرنسيين والإسبان معا، ولم يتم للأولين احتلال كل التراب المغربي إلا في عام 1936 بينما صمد الصحراويون في وجه الإسبان اثنين وعشرين سنة (تم احتلال الساقية الحمراء عام 1934).

وليس المقام هنا مناسبا للحديث عن مختلف مراحل الكفاح الذي خاضه الملك والشعب من ورائه لاسترداد حريته عام 1956، ولكن يجب التذكير بأن بلادنا لم تتوقف أبدا عن بذل كل ما في مقدورها لإعادة سيادتها على مجموع التراب الوطني.

ورغم أن إسبانيا تعهدت في تصريح مدريد (7 أبريل 1956) باستقلال المغرب وكما تعهدت بضمان وحدته وسيادته في الثاني عشر منه، فإنها ظلت متمسكة بحمايتها لأربع مناطق مغربية هي افني وطرفاية والساقية الحمراء ووادي الذهب وباستعمارها لمدينتي سبتة ومليلية في الشمال بالإضافة إلى بعض الجزر الأخرى.

وعندما جرت المفاوضات المغربية الإسبانية عام 1959 لتصفية المشاكل التي تخلفت عن العهد البائد، سجل المغرب تحفظه فيما يخص مناطقه المحتلة.

ولقد بذل المغرب جهودا صامدة لتحقيق هدفه عن طريق الاقناع والتفاهم وتضمنت جميع خطب العرش المطالبة بوحدة التراب ودعوة إسبانيا للمفاوضات محذرة من عواقب التماطل هذا بينما كان المواطنون المغاربة يحملون السلاح ويحتلون منطقة سيدي إفني (ما عدا المدينة نفسها)، ويتوغلون في الساقية الحمراء حيث كانت القبائل تنضم إلى الثورة وترفع العلم المغربي وصورة جلالة الملك فوق كل خيمة أو بناء.

واعتقدت إسبانيا بأن في استطاعتها أن تقضي على تصميم المغرب وتحد من حماسه إذا تنازلت عن بعض تلك الأجزاء، وهكذا سلمت للدولة المغربية منطقة طرفاية (1958) وهي المنطقة التي كانت مندمجة في الساقية الحمراء، ولها وضعية مشابهة لها.

وتبيّنتِ الأهداف الحقيقية الاستعمارية في صحرائنا عندما أصدر مجلس الكورطيس قانونا خاصا بالصحراء (16 أبريل 1960)، وكان القانون المغربي هو الجاري به العمل حتى ذلك الوقت، ومنحت الجنسية الإسبانية للصحراويين وفتحت الهجرة الأوروبية إلى العيون وفيلاسينيروس، وكان ردّ الفعل المغربي عنيفا، ووقعت اتصالات مكثفة، اتضح فيها تعاطف الدول العربية والإسلامية وأدّى الحال بإسبانيا إزاء ذلك، إلى أن تتصل بإسرائيل لشراء فوسفاطها عوضا عن الفوسفاط المغربي، وعلمت الجامعة العربية بهذه الاتصالات.

وكان الهدف الإسباني الأول هو إلحاق المنطقة بإسبانيا، كما هو الحال بالنسبة لسبتة ومليلية، ولكن حدث ما لم يكن في الحسبان، حيث صدرت عن الأمم المتحدة توصية تنص على منح الاستقلال للشعوب المستعمرة بما فيها الصحراء (التوصية رقم 1514 بتاريخ 14 دجنبر 1960).

وجرت محاولات متعددة لإيجاد صيغة للتفاهم تقوم على أساس المقايضة الترابية ولكن المغرب رفض دائما أن يحيد عن مبدأ الاسترجاع الكامل لترابه الوطني، وتقدم إلى اللجنة الخاصة التابعة للأمم المتحدة يطلب انسحاب الإسبان من الصحراء. وكان ذلك بعد مرور سنة كاملة على مقابلة جلالة الملك للجنرال فرانكو (1963) ومحاولة إقناعه بتقبل المطالب المغربية.

وبعد اللجنة الخاصة صادقت الجمعية العمومية للأمم المتحدة على قرارها التاريخي (1965) الذي «يلح على أن تتخذ الدولة الحاكمة على الفور الإجراءات اللازمة لتحرير أراضي الصحراء وإيفني من الاستعمار، وتدخل في مفاوضات حول قضايا السيادة التي تطرحها هذه الأراضي».

وتكرر نفس القرار عند اجتماع لجنة تصفية الاستعمار في أديس أبابا (يونيو 1966) وخلال الدورة(21 دجنبر 1966) أدين الاستعمار الإسباني وطولب بتمكين السكان من تقرير مصيرهم تحت إشراف الأمم المتحدة، وقد سمح لممثلي الصحراء أنفسهم بالتعبير عن آرائهم فصرحوا بأنهم مغاربة وأنهم يطلبون الجلاء والوحدة مع الوطن الأم.

وأصدرت الجمعية قرارها بالجلاء الفوري عن إيفني وتسليمها للمغرب، وبتنظيم استفتاء تحت إشراف الأمم المتحدة وبتشاور مع جيران الصحراء على شرط أن يعود أبناء الصحراء المنفيون بالمغرب إلى بلدهم (عدد هؤلاء 21 ألف نسمة).

وقد تحفظ المغرب، إذ اعتبر بأن المعنيين بالأمر هم السكان ثم المغرب وإسبانيا.

ورغم قبول إسبانيا بالمبدإ فإنها كانت تخطط في الواقع لتهريب الصحراء وخلق وضعية فيها تسمح في المستقبل باستثمارها وابتزاز خيراتها، بل وبالارتباط بها بشكل دائم تحت ستار الحكم الذاتي أو التكافل. وفي هذا الصدد صدر قرار حكومي بتاريخ 1 يناير 1967 يقضي بإجراء انتخابات في الصحراء لتكوين مجلس تشريعي بها ومانعت إسبانيا في استقبال لجنة أممية لتقصي الحقائق، ثم كانت المفاجأة عندما صودق على القانون الأساسي الإسباني (14 دجنبر 1967) في استفتاء عام والذي ينص على وجود ممثلين عن سبتة ومليلية والصحراء في مجلس الكورطيس.

ووسط مسرحية سياسية إسبانية تمثلت في تسليم سيدي افني إلى المغرب عام 1969، جرى تنصيب المجلس العمومي للصحراء المتكون من 42 عضوا، وكان الكاتب العام إسبانيًّا (السّينيورْ بانو)، وظهرت خلافات داخل المجلس تسببت في طرد عدد من النواب والتجائهم للمغرب، وبدأت الحركة الوطنية الداعية إلى الوحدة، وجرت مظاهرات في العيون وغيرها، ولجأ كثير من الشباب إلى الجبال والأحراش، وأصبح الجيش الإسباني يواجه صعوبات في الحفاظ على الأمن، عندما تكررت حوادث مهاجمة أفراده ومراكز تجمعه.

وأثناء كل ذلك لم يتوان المغرب عن بذل كل الجهود السلمية لإقناع الجانب الآخر بعدالة قضيته، وأتت زيارة جلالة الملك لإسبانيا في يونيو 1969 لتضع القضية في إطار جديد، حيث تعهد ملك المغرب بأن تصان المصالح الاقتصادية والاستراتيجية الإسبانية في الصحراء، ولكن الإسبان، بالرغم من كل ذلك، احتفظوا بموقفهم وحاولوا استغلال بعض الألفاظ الواردة في القرارات الأممية للتسويف والتهرب من أي التزام، مستغلين ما تصوروه من خلاف بين جيران المغرب الذين كانوا يقرون حقه في وحدته الترابية.

وعند انعقاد مؤتمر القمة الإفريقي بالرباط، والتصريح الذي أدلى به الرئيس بومدين بعد توقيع الاتفاقيات المغربية الجزائرية، وبعد إبلاغ مضمون قرار القمة للدولة الإسبانية. وجدت الدولة المستعمرة أن وضع المغرب أمام الأمر الواقع هو المخرج الوحيد، والضامن لتهريب المنطقة وفصلها عن واقعها القومي.

وبدأت المسرحية السياسية المفضوحة بين «المجلس العمومي» الذي يضم بعض الشيوخ والممثلين للقبائل الذين فضلوا التعاون مع الإسبان وبين الحكومة الإسبانية، وهكذا فخلال اجتماع ذلك المجلس يوم 28 يوليوز 1973 وجه رسالة إلى الجنرال فرانكو يطلب فيها خلق جهاز إداري من أبناء الصحراء، وإيجاد ظروف مناسبة ليتقلد ذلك الجهاز التسيير الداخلي للساقية الحمراء ووادي الذهب، ثم أعقبها برسالة أخرى بتاريخ 20 فبراير 1974 يطلب فيها إقرار حكم داخلي للإقليمين.

وأعلنت الحكومة الإسبانية، بصفة علنية عن الرسالتين، وذلك في جواب يحمل توقيع الجنرال فرانكو بتاريخ 6 مارس 1974. ولم يتضمن ذلك الجواب سوى الفكرة التي عبر عنها «بعض» أعضاء المجلس، وإخبار بأن الحكومة الإسبانية منكبة على دراسة المقترحات.

وفي شهر يونيو وجه الجنرال فرانكو جواب إسبانيا، وكان يتضمن النقاط الآتية:

1. الدولة الإسبانية التي تعايشت تقليديّا مع الصحراويين هي التي تعرف حقيقة نواياهم وما يطمحون إليه، وهي موقنة بأن الشعب الصحراوي هو وحده الذي يملك إرادته ولذلك فإن إسبانيا ستدافع عن تلك الإرادة.
2. تضمن إسبانيا وحدة التراب الصحراوي.
3. تمضي إسبانيا في تحقيق التطور الاقتصادي والاجتماعي وتعلن بأن ثروات الصحراء هي من حق أبنائها.
4. تعمل إسبانيا جاهدة لازدهار الدين الإسلامي بالصحراء.
5. سيتم تطبيق تقرير مصير الصحراء عندما يطلب الصحراويون ذلك بأنفسهم ويكونون في وضعية تمكنهم من تحمل تبعاته والتزاماته.
6. ستقيم إسبانيا نظاما خاصا بالصحراء يضمن مشاركتهم تدريجيا في تسيير شؤونهم ويفضي بهم إلى تحمل مسؤولياتهم في نطاق من التكامل.
7. سيتمتع الصحراويون بجميع الحقوق التي تعطيها الجنسية الإسبانية.
8. يجسم رئيس الدولة الإسبانية التجانس القائم بين الشعبين، وينوب عنه الحاكم كممثل شخصي لرئيس الدولة في الصحراء.
9. إسبانيا هي التي تمثل الصحراء في الشؤون الخارجية وتتولى شؤون الدفاع.
10. ستقدم للمجلس النصوص الضرورية لإقرار هذه المبادئ في صيغة تشريع عام يتضمن أيضا تطوير العرف والتقاليد والقضاء الشرعي.

وقد استدعت الخارجية الإسبانية سفير المغرب وأخبرته بأنها على وشك إدخال تغييرات في الصحراء، لا تتنافى مع مبدأ تقرير المصير، وتستجيب لرغبات المجلس العمومي للصحراء.

وراج على نطاق واسع بأن بلاغا سيصدر بذلك في نهاية شهر يوليوز على لسان رئيس المجلس صيلة ولد عبيدة.

وأمام هذه الوضعية البالغة الخطورة والمتنكرة لكل الأعراف الدولية وللواقع التاريخي، وبصفة خاصة للحق المغربي الواضح، لم تجد بلادنا - وعلى رأسها جلالة الملك الحسن الثاني- بُدّا من اتخاذ كل الوسائل التي تحتمها الحالة، دون أن تيأس من إمكانية إنقاذ العلاقات المغربية الإسبانية، فبعث جلالة الملك بتاريخ 6 يوليوز برقية إلى الجنرال فرانكو جاء فيها : «ولا يجدر بنا أن نخفي عليكم أنه إذا تحقق ذلك، سيفضي بنا الوضع إلى تدهور في العلاقات القائمة بيننا، الأمر الذي ما فتئنا نتجنبه».

واستدعى ممثلو الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن الدولي لمقابلة الوزير الأول أحمد عصمان كما استقبل وزير الخارجية بالنيابة بقية السفراء المعتمدين بالرباط، ووجهت مذكرة إلى الأمين العام للأمم المتحدة وأخرى للجامعة العربية، وبدأت الدول الشقيقة والصديقة تعلن تأييدها للموقف المغربي وفي مقدمتها تونس وأوغندا وجمهورية مصر العربية الخ. وأتى الأمين العام لمؤتمر العالم الإسلامي حاملا تأييد 700 مليون مسلم للمغرب.

وكان واضحا لدى الجميع أن المشكل لا يتعدى وجودا استعماريا يجب إزالته عن الصحراء. وتأكد لدى الجميع أيضا بأن التعنت الإسباني ليس له ما يبرره، خاصة وأن المغرب أراد أن يخلق جوا مثاليا من التعاون مع جارته وأن يضمن لها حقوقا ربما تتجاوز من حيث الأهمية تلك التي قد تحصل عليها إسبانيا بعد إعطاء الحكم الذاتي لإقليم مغربي لا غُبار على تبعيته للوطن الوالد، وقد شرح صاحب الجلالة هذه النقطة في خطاب الثامن من يوليوز حيث قال:

«دارت بيننا وبين الجنرال فرانكو محادثة خاصة كان عرضنا لهذه المشكلة أعمق وكان موقفنا أكثر مرونة، وسياستي ليس فيها ما يخفى لأنها واضحة كالشمس في وسط النهار، وإذاك طرحنا على الحكومة الإسبانية الاختيارات التالية:

- إننا نعلم الموقع الاستراتيجي لمدينة العيون وفيلاسيسنيروس بالنسبة لجزر كناريا.

- إننا نعلم أنكم تولون لهذه الجزر أهمية بالغة من الناحية العسكرية، فنحن مستعدون إذا أنتم أرجعتم للمغرب سيادته على التراب إلى أن نضع رهن إشارتكم قواعد عسكرية لمدة ما نتفق عليها تجعلكم تطمئنون على كانارياس علما منا أن القواعد العسكرية في الأخير لا ينتفع بها إلا البلد الذي هي على أرضه.

وعلمنا من أن التطورات الإستراتيجية وتطورات الأسلحة تجعل دائما من القواعد العسكرية شيئا يتطور.

وقلنا أيضا أما إذا كانت خيرات الصحراء سواء منها تلك التي على الأرض أو التي في قعر البحار تهمكم كذلك فالمغرب مستعد ليبرم معكم اتفاقية يشترك بموجبها معكم في عمليات الاستخراج والتسويق وكل ما من شأنه أن يستخرج ويسوق.

وكنا نعتقد أن تفتحا مثل هذا لا يكون من شأنه إلا أن يرجع الإسبانيين عن غيهم وينظرون إلى مصالحنا العليا ويعلموا أنه لا محل ولا موضع لبلد أجنبي في إفريقيا.

وهذه القاعدة تزيد وضوحا وحقيقة يوما بعد يوم».

ولقد اهتز المغرب من أقصاه إلى أقصاه بعد سماع الخطاب الملكي بمناسبة عيد الشباب وهب الصحراويون الذين يمثلون كل القبائل والذين أبعدت السلطات الاستعمارية الألاف منهم يطالبون بفتح باب الجهاد، ويضعون أنفسهم جنودا مجندين وراء جلالة الملك لا غرض لهم سوى تحرير البلاد او الشهادة، وكان منظرهم وهم يتقاطرون على الرباط، شبيها بجموع أجدادهم عندما كانوا يأتون الى فاس أو مراكش في الماضي.

ومن جهة ثانية أجمعت الأمة المغربية، بما فيها من أحزاب وطنية وهيئات نقابية وجمعيات وهيئاة منتخبة، على تأييد الموقف التاريخي الذي وقفه جلالة الملك من هذه القضية الوطنية، وتناهى إليها صوت الماضي العريق الحافل بالبطولات والجهاد وهي تستمع إلى خطابه العظيم يوم 8 يوليوز.

ورغم التأكد من أن جميع الدول الصديقة والشقيقة والدول المحبة للحرية والسلام تقف تلقائيا الى جانب الحق المغربي، فان جلالة الملك أبى إلا أن يوجه رسائل إلى مختلف ملوك ورؤساء دول العالم يلفت فيها نظرهم إلى إصرار إسبانيا على تفويت حق مغربي لا غبار عليه، وقد حمل تلك الرسائل رؤساء الأحزاب المغربية وبعض الوزراء.

إن أبناء الصحراء ومن ورائهم جميع إخوانهم المغاربة على موعد في الآونة المقبلة مع تاريخهم الذي عرف كثيرا من الأحداث والتقلبات ولكنه لم يعرف قط الذل او التهاون.

القسم الثالث: الحياة البشرية

في هذه الصحراء المترامية الأطراف، قد يبدو لأول وهلة بان العنصر القبلي هو المميز الوحيد للحياة البشرية، ولكن في الأعوام الأخيرة، عندما أصبحت الروح الوطنية والوازع القومي هما السائدين لم تعد للانتساب القبلي تلك الغلبة بل انصهر الجميع في بوثقة واحدة هي النسبة المغربية.

ومهما يكن من أمر فإن دراسة رصينة وعلمية يجب أن تنصب على المعطيات الموضوعية على الرغم من أن الحديث عن القبلية لا تدور اليوم إلا على لسان الحاكمين الإسبان.

ولقد أعمرت منطقة الصحراء المغربية منذ القديم بالعناصر البربرية ذات الأصول الصنهاجية وكانت تمتد في تجوالها إلى نهر السنغال الذي سمي باسمها. وفروع صنهاجة في هذه الصحراء هي جزولة ولمطة ولمتونة. وقد قدم إلى هذه الجهات عرب بنو معقل في عهد الموحدين وكان عددهم نحو 200 نسمة، والذين استقروا منهم بالساقية الحمراء يعرفون ببني منصور. ثم قدم بعدهم بنو حسان الذين استعملهم علي بن يدر الثائر على الموحدين، فأقاموا بالصحراء الغربية وامتزجوا بالسكان الأصليين.

وفي عهد سيدي محمد بن عبد الله قدمت قبيلة عربية أخرى هي أولاد أبي السبع.

وعلى مر السنين اندمجت مختلف القبائل دمويا والتحمت مع بعضها البعض، ولم يعد هناك من إمكانية للتمييز إلا فيما يتعلق بأماكن انتجاعها، وجميع القبائل الصحراوية رغم تعدد أصولها تنتسب بطريقة أو بأخرى للبيت النبوي، ومن هنا كان التفافها مستمرا حول العرش العلوي الشريف، وعزمها على الالتحاق بالدولة الشريفة إضافة إلى الواقع الجغرافي والتاريخي والاجتماعي.

ويمكن إعطاء فكرة عن التوزيع السكاني في الساقية الحمراء ووادي الذهب كما يلي:

إن عدد سكان المنطقة الأصليين يصل إلى 88000 نسمة (منهم 21000 نسمة لاجئة إلى المغرب و 4000 نسمة مستقرة في تندوف وموريتانيا)، وينضاف إلى هؤلاء نحو 1800 أوروبي مدني و 22000 عسكري إسباني.

الرقيبات

يمثل الرقيبات في الساقية الحمراء ووادي الذهب نصف سكان المنطقتين المقيمين فهم يعدون بأكثر من 20000 نسمة، وأكثر من 12000 يقطنون في الجهات الوسطى من الصحراء، ولكن جنوب طرفاية وشمال الساقية الحمراء هي مناطقهم الأصلية ومنها ينطلقون إلى الإنتاج أو إلى التجارة.

ينقسم الرقيبات إلى جدعين كبيرين:

- رقيبات الساحل
- رقيبات الشرق والقاسم

فالنسبة للجدع الأول نذكر الأعضاء الآتية:

- أولاد موسى: ويمتازون بغلبة التأثير العربي على البربري ويمثلون 1200 موقد
- السواعد 475 موقدا
- أولاد داود 235 موقدا
- الموذنين : ينحدرون مباشرة من الولي سيدي أحمد الرقيبي 113 موقدا
- أولاد طالب وأولاد التهالات فخدان ينحدران من صحراء تيرين وأدوار، 521 خيمة و3000 من الجمال
- أولاد طالب التهالات ينحدران من قرية سيدي أحمد الرقيبي 197- موقدا-

وأما الجدع الثاني أو رقيبات الشرق فينقسمون إلى الفخدات الآتية:

- البيهات: ينتقلون بين الساقية الحمراء وطرفاية حتى وادي درعة، عدد خيامهم 500
- أهل ابراهيم وداود : يعدون 178 خيمة ويمتلكون عدة آلاف من الجمال وقطعانا من المعز

- الفقرة : هي من أغنى قبائل الرقيبات من ناحية امتلاكها للجمال وللماشية، وأحسنها معرفة بالتنقل ودروب الصحراء والآبار المنتشرة بها، عدد مواقدهم 633، وينتقلون في مجموع منطقة درعة وعلى الحمادة حتى تابلبالت وايكيدي.

لم يعرف الرقيبات طيلة وجودهم في أرض الساقية الحمراء ووادي الذهب أي معنى للتفرقة أو العزلة فكل من دخل أحد أحيائهم يهبونه أموالهم، ويحمونه بما عرف عنهم من الشجاعة والشرف.

وكعادة اهل الصحراء نجد الرقيبات يعتمدون في مواردهم على الكسب والفلاحة والتجارة، وهم على جانب كبير من اليسر نظرا لقطعان الجمال الوفيرة التي يمتلكونها والقوافل التي يسيرونها نحو الشمال ونحو السودان.

والرقيبات يحافظون في نظام أسرهم على تقاليد المغرب القديمة المستمدة من روح الإسلام، ولا تجد أي فرق بين من يعيش حول مدينة السمارة أو العيون و بين سكان كولمين أو تزنيت أو طرفاية، الإنسان واحد والعادات واحدة.

وإذا كانت قبيلة الرقيبات عرفت ببسالة أبنائها وبدفاعهم عن وحدة وطنهم، وإذا كان أبناؤها عرفوا بالكرم والنبل فإن كثيرا من العائلات الرقيبية عرفت بخدمة العلم والانهماك في تحصيله وحفظ القرآن ومداومة تلاوته ومنهم العباد النساك الذين اشتهروا بصلاحهم واعتزالهم الناس، وهذا بخلاف ما يشاع عنهم بأنهم تجار لا يهتمون إلا بتسيير قوافلهم شرقا وجنوبا وشمالا.

وينحدر الرقيبات من ولي صالح بالصحراء الوسطى يدعى مولاي عبد السلام بن مشيش وينفرد المؤرخون الإسبان باجتهادات حول أصلهم ويذهبون إلى أن الأصل التاريخي الأول لهم ليس هو مولاي عبد السلام بل هو سيدي أحمد الرقيبي الذي هاجر من إقليم توات إلى منطقة درعة، وهاجر ابنه من بعده أو خلال حياته إلى الساقية الحمراء حيث مازالت ماثلة إلى اليوم آثار قصبة تشهد على هذه الهجرة وهي أول بناء عرف في تاريخ منطقة الصحراء، ويقع على بعد 100 كلم من الشمال الشرقي للسمارة امتداد وادي _ القيزات _ احدروا في الساقية الحمراء ويدعوه السكان بقصبة _ هزة _ وقد كانت القصبة معروفة منذ القديم ولكن الرقيبيين جددوا بناءها.

والواقع أن سيدي أحمد الرقيبي هو شريف إدريسي يمت بصلة دموية معروفة ومنبوتة، ولعله أول من هاجر إلى الصحراء من أبناء هذه الأسرة الشريفة، أو لعله الوحيد الذي أنشأ تلك البناءات الشاهدة على نشأته المدنية، ويشبهه المؤرخون في هذا المجال بالشيخ ماء العينين الذي بنى بعد قرون مدينة السمارة في ذات المنطقة.

ولقد ترك مولاي عبد السلام، آثارا عميقة في أبنائه وأحفاده وتتجلى تلك الآثار واضحة بينة في ما أخذه الرقيبات على أنفسهم فيما بعد من سلوك طريق التضحية والجهاد وكثيرة هي التعاليم التي تركها ذلك الصالح الذي تنتسب إليه الرقيبات، وأكثرها يحض على طاعة

أئمة الإسلام وقادة المسلمين، وعلى وجوب القيام بما يحث عليه الشرع وتحث عليه الآداب الإسلامية، وغني عن القول بأن في مقدمة ذلك الدفاع عن الأوطان ودرء الكفار والغاصبين وتجنيبها كل ما من شأنه أن يضعف شوكتها ويفتت وحدتها ويطوح بعزها.

إن العلاقة بين الشريف الإدريسي مولاي عبد السلام بن مشيش وبين قبائل الرقيبات هي علاقة ثابتة تاريخيا، وان ما نقرؤه من كتابات المتأخرين من مؤرخي الإفرنج حول نفي تلك العلاقة كلا أو بعضا المقصود منه استبعاد أية صلة بين ولي مغربي وقبيلة صحراوية تنتشر حاليا في الصحراء الغربية والسبب كما يبدو في ذلك راجع إلى خطة لحصر أصل الرقيبات في سيدي أحمد الرقيبي فقط، وهي خطة لاداعي لشرح دوافعها، ثم إن هذا شيئ ينفيه العارفون من أبناء الرقيبات الذين لايخفون أبدا صلتهم الدموية بالولي مولاي عبد السلام، دفين ناحية فاس، وهي التي كان لها القدح المعلي في نشر الإسلام بالمغرب وإفريقيا. إن الشيخ عبد السلام الشريف ينتسب للأسرة الإدريسية وقد وجدت امتدادها في أبناء الشيخ الذين واصلوا تلك المهمة في ظل الدولتين المرابطية والموحدية.

وكان الشيخ ابن مشيش تلميذا للولي سيدي علي بن حرازم دفين فاس الشهيرة، وصديق حميما للولي سيدي أبي مدين الغوث وأبي عبد الله التاودي، وهو كذلك شيخ لأبي الحسن الشاذلي رئيس الطريقة الشاذلية الشهيرة.

والثابت أنه عندما قدم الرقيبات في الأول لم يجدوا الساقية الحمراء قفرا من السكان بل صادفوا قبيلتين تقتسمان مراعي هذه الجهة هما قبيلة أولاد دليم وبني حفيان وقد تمكنوا من شراء كل المنطقة المحصورة بين درعة والساقية الحمراء وزمور، وعندما قدم الأوروبيون في أواخر القرن الماضي وجدوا الرقيبات حيث هم ووجدوا منهم مقاومة عنيفة لمنعهم من الاستقرار فوق أراضيهم واستعمارها. و إلى الشمال من هذه الناحية حيث توجد قبيلة آيت عطا لم يضطر الرقيبات إلى دفع الغرامة وهي عبارة عن 15 جملا في السنة و ذلك لكون الرقيبات كانوا شرفاء وكذلك فعلت قبائل تكنة التي تعايشت معهم طيلة قرون وقرون.

إن الرقيبات اليوم ينتشرون في الساقية الحمراء وكتلة جبال زمور محتلين كل بلاد التيريس حتى زيمول وادرار صطف أي إلى حيث تبدأ قبائل أولاد دليم، وهم يختلطون بقبائل متعددة حيث يحظون دائما بالاعتبار والتقدير. ونظرا لروح شجاعة قبائل الرقيبات فإنها أصبحت مهيمنة على كل ناحية الساقية الحمراء ووادي الذهب وتوجت كل ذلك باستيلائها على تندوف عام 1895، وكان سلاطين المغرب وخاصة منذ العهد الإسماعيلي يعتبرونها أحد أركان الاستقرار بمجموعة الصحراء الوسطى.

وفي سنة 1906 صار سكان الرقيبات سادة جزء كبير من موريطانيا ووادي الذهب ثم انتقلوا إلى أدرار، و إلى تخوم ايرونزلوا بناحية تاهوا بالنيجر سنة 1908 وضايقهم الاستعمار في تنقلهم فهجموا على – نواذيبوا – سنة 1924 ثم أعادوا هجومهم عليه ولم تستطع القوات الاستعمارية إنهاء مقاومتهم إلا سنة 1934،حيث انهم حملوا السلاح وراء الشيخ ماء العينين، وابنيه أحمد الهيبة ومربيه ربه، ووراء قوادهم الذين عينهم سلاطين المغرب.

وإن ملامح الرقيبات في محاربة الاستعمارين الفرنسي والإسباني، من العظمة والشيوع بحيث يتغنى بها سكان الصحراء، وينقلها الأبناء عن الآباء.

2) تكنة

ينقسم اهل تكنا إلى اثنتي عشر قبيلة، وينحدر أصلهم من العرب والبربر: آيت الجمال قبيلة عربية وآيت بلا قبيلة بربرية.

ويحد إقليم تكنا شمالا بوادي نون وجبل باني وجنوبا بالساقية الحمراء وشرقا بحمادة تندوف غربا بالمحيط الاطلنتيكي وهم ينتقلون من تاكونيت إلى فيلا سيسروس ومن طرفاية إلى ايكيدي اي على 1000 كيلو متر طولا و 500 كيلومتر عرضا.

ويعتبر أهل تكنا من الرحالة الذين لهم معرفة بالتجارة. وهم يملكون زيادة على المواشي واحات خصبة وأراضي سقوية.

ويبلغ ما يملكونه من المعز 200 ألف ومن الإبل 30،000 راس ولهم كذلك 100 ألف من النخيل و 5 ألف من شجر الزيتون، وينتجون سنويا 30 ألف قنطار من الشعير ويستخرجون معادن من السبخات شرق طانطان.

وقبائل تكنة تنقسم إلى فروع كثيرة منها:

- آيت موسى وعلي
- الزرقيون: من قبائل معقل، ويحتفظون بالظهائر المغربية وقد لعبوا أكبر الأدوار في تاريخ الكفاح
- آيت لحسن: لا يمكن تمييزهم عن الزرقيين
- يكوت
- أولاد تدراريني: ينسبون لصحابي قدم مع الفاتح عقبة بن نافع، أشهر خيامهم أهل البشير الطالب
- المجاطيون (يدخلون مع الفويكات ولمليار ضمن الزرقيين)
- العروسيون: ينسبون لولي انتقل من مراكش وبنى مكانا للتعبد

وبما أنه لا يمكن التفريق بين أماكن تواجد هذه القبائل حيث أنها لا تعرف وجودا للحدود والاستعمار، فيمكن القول بأن الأغلبية العظمى لفرع آيت عثمان يوجد في دائرة جبل باني. ومن أبرز قبائل هذه الفرع آيت يوسى، يدا وابراهيم، آيت باعسبرا، أيت بوهر، أيت زكري.

وأماكن انتجاع قبائل تكنة واسعة، وبعض خيامها تملك واحات بأكملها.

3) اولاد دليم

تعيش قبيلة أولاد دليم في الجنوب الغربي من إقليم وادي الذهب. أمضوا كل حياتهم في الحروب ضد الأجانب لوجودهم بالقرب من السواحل. وهم يتعاطون الفلاحة بل يؤترون التجارة وتربية المواشي والصيد.

وينتسب أولاد دليم إلى حسان المختار وهم أقارب في ناحية مراكش.

ويمكن أن ندخل ضمن أولاد دليم ثلاث قبائل صغيرة هي الشناكلة وايموراغن والمناصير، والقبيلتان الأوليان تعيشان على الصيد البحري.

4) القبائل المفردة

هذه القبائل المفردة التي تعيش في الصحراء المغربية كلها من محتد عربي، وقد حيرت بعضها الباحثين لظهور بعض التأثيرات الفيزيولوجية الخاصة.

آل الشيخ ماء العينين: أصلهم من موريطانيا، وهم شرفاء أدارسة اشتهروا بالجهاد والعلم.

فيلالة: لهم زاوية في الحقونية، ويرجع نسبهم إلى شرفاء تافيلالت ويوجد أقرباؤهم في مكناس.

توبالت: قبيلة شريفة اشتهرت بالصلاح والعلم.

وهناك جماعة أخرى تسمى بالحراطين تستخدمهم قبائل الرقيبات والتكنا والموريطانيين: فهم يعملون كرعاة للماشية أو زراع للأراضي في الواحات والكرارات.

اللهجة

إن لغة القبائل الثلاث التي ذكرناها آنفا هي «الحسانية» وهي لغة عامية تشابه العربية الفصحى، ولا تختلف في شيئ عن لهجة سكان جنوب باني.

وهناك مفردات بربرية دخلت بنسبة تتراوح ما بين 17 و 35 في المائة حسب كل قبيلة، وأصل هذه المفردات البربرية هي لهجة قبائل سوس المغربية المسماة بتشلحيت.

أما كتابتهم فهي عربية وقديما كانت قبيلة الرقيبات تستعمل لغة «التيفيناغ» فلا زالت آثارها في بعض الجهات الصحراوية ونراها بالخصوص مرسومة على ظهور الإبل.

التنظيم الاجتماعي

تنقسم كل قبيلة إلى فخدات متنوعة وجميع أفراد الفخدة يتنقلون معا وينصبون خيامهم معا ويملكون الماشية كذلك معا.

وتنقسم الفخدة إلى عائلات، وكل عائلة تملك خيمة لها وماشية.

والقبائل الرحل لا تقوم بأشغال محلية لأنها تجهل القواعد الفنية للفلاحة، وإذا ما زرعت الأرض يوما ما فإن المحصولات تقسم على جميع أفراد الفخدة.

ويقع الاقتراع فيما بين أفراد القبائل لاختيار الرئيس، وكل عائلة ترشح اكبرها سنا، رئيس الفخدة، ويجب أن تتوفر فيه صفات الشجاعة والكرم والمروءة والخطابة والثقافة، ويكون جميع رؤساء الفخدات جماعة تقوم بتحديد وسن قوانين القبيلة التي تنبع أصلا من الشرع الإسلامي، وتعين هذه الجماعة رئيسا لها من بين الأفراد الذين يتميزون بالحكمة والرزانة، ولا يتمتع الرئيس بأي سلطة ولا يتخذ أي قرار بدون موافقة الجماعة التي تجمع بين أيديها السلطة التشريعية والتنفيذية حسب ما يوجبه الشرع الإسلامي كذلك.

وإذا ما أراد أعضاء الجماعة أن يبتوا في قضية تتعلق بالدين الإسلامي فإنهم يتوجهون إلى ولي أو عالم ديني ومن اللازم أن يكون الولي المذكور عارفا بعرف البلاد الذي يكون في الحقيقة القانون الأخلاقي والاجتماعي للقبائل، أما بقية الاقترافات المدنية والجنائية فإنها من اختصاص الجماعة.

سكنى القبائل

وتسكن العائلة القبيلية في خيمة تصنع من شعر المعز أو صوف الغنم، فهي لها باب يكون مفتوحا عند القبائل العربية كقبيلة أولاد دليم مثلا وعند قبائل التكنا والرقيبات تفتح الخيمة برفع الجلد الذي يغطيها.

أما ما يخص معيشة أفراد القبائل، فإنهم يستهلكون اللحوم بكثرة نظرا لتوفر الماشية النامية ويستهلكون كذلك التمر والكسكس والأرز والذرة البيضاء، أما الملابس، فإنهم يستعملون بكثرة الثوب الأزرق ولهذا سموا من طرف الأوروبيين «الرجال الزرق»، أما الثوب الأبيض فهو مخصص للأعيان والفقهاء والأولياء.

وليس المظهر القبلي أو العشائري القائم على الترحال هو المظهر الوحيد في الصحراء، بل يمكن اعتباره المظهر الغالب فقط، ذلك أنه يوجد نوعان آخران من الحياة:

النوع الأول: المجتمع نصف المستقر. فحول بعض العيون الدائمة أو داخل السبخات التي تحتوي على مصدر مائي وبعض الأشجار، تستقر بعض القبائل لفترة قد تمتد من 4 إلى ثمانية

أشهر، وقد أصبح هذا النوع من الحياة ينمو ويتكاثف بعد أن استصلحت أراضي الواحات الشمالية وأمكن إقامة زراعة أو الاحتفاظ بالأعشاب التي يرعاها الحيوان.

النوع الثاني: وهو الاستقرار الكامل، وهو لا زال محدودا جدا، وعند الرجوع إلى التاريخ القريب نجد أن الاستقرار في قرى ومدن صحراوية كان معروفا وأكثر اتساعا منه اليوم، وفي نهاية القرن الماضي – مثلا – بنى الشيخ ماء العينين مدينة كبيرة عند الساقية الحمراء هي مدينة «السمارة» وقد بلغ سكانها المقيمون في سنة 1902 زهاء 5.000 نسمة، كما أن مدينة الكويرة كانت غاصة بالسكان الذين كانوا يزاولون الصيد والتجارة، وقد بنى المولى الحسن الأول ميناء الصاك أثناء رحلته الثانية لأقاليم الجنوب، وشهدت طرفاية لمدة طويلة ازدهارا عمرانيا كبيرا.

وفي الوقت الراهن تكاد تكون حياة الاستقرار، وسكنى المدن قاصرة على الأجانب، وتعتبر المدن الواقعة كلها على الساحل كأجسام غريبة وسط هذا العالم الفسيح، ولا يتواجد فيها الصحراويون إلا بقصد التجارة، ولا يسكن في بيوتها سوى القليل منهم، أما الصحراويون المقيمون بكيفية دائمة فهم، إما موظفون أو شيوخ أو أصحاب تجارة قارة. وأهم مدن الصحراء هي:

العيون: وهي عاصمة الساقية الحمراء. بنيت عام 1934 على ضفتي الوادي. وتبعد عن البحر بنحو 30 كلم وعدد سكانها 9.500 نسمة، والمدينة مزينة بالحدائق وذات شوارع فسيحة وبناءات عصرية ومستشفى ومدرستان.

فيلاسينيروس: (5380نسمة) هي عاصمة وادي الذهب، توجد على الساحل فوق مدار السرطان، فيها فندقان ومستشفى وثلاث مدارس.

وتأتي بعد ذلك مدن أقل أهمية وأهمها : السمارة والكويرة والمسيد.

القسم الرابع : الحياة الاقتصادية

ينبغي قبل كل شيء التمييز بين نوعين من الاقتصاد في الصحراء المغربية:

النوع الأول وهو الاقتصاد التقليدي المنحصر في تربية الماشية والزراعة الضيقة المؤقتة والصيد البري، وجمع الأعشاب البرية البيطرية، والصمغ، وفي صيد السمك، وأخيرا في التجارة القبلية القائمة على رحلات القوافل الكبيرة أو المتوسطة.

والنوع الثاني: وهو ما يمكن أن نطلق عليه تجاوزا عبارة الاقتصاد الحديث ويتمثل في استغلال المعادن من طرف الأجانب فقط، وفي الصيد البحري على نطاق واسع. وأخيرا في صناعة المعلبات التي أسست من اجلها عدة شركات إسبانية.

الفوسفاط

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، اكتشفت خواص عجيبة للتربة في بعض واحات الساقية الحمراء، وقد نقلت عينات من تربة وادي بوكراع إلى مدريد حيث أجريت عليها تحليلات مخبرية قادت إلى التعرف على وجود نسبة من الفوسفاط ضمنها.

وتكونت لجنة عليا برئاسة وزير الصناعة لوضع برنامج للبحث، ثم توجه عام 1947 البروفسور (مانويل مدينا) الأستاذ بجامعة مدريد إلى العيون على رأس بعثة تكلفت بالمسح الطوبوغرافي وبحفر آبار لمعرفة ما إذا كانت توجد طبقات من الفوسفاط.

وقد عثرت البعثة على طبقات من الفوسفاط ذي النسبة العالية من المعدن ضمن طبقة الايوسين، وذلك فيما بين خطي العرض 26 و 27 درجة وخطي الطول.30 و 13 درجة غرب غرينويتش، وكان أهم موطن داخل هذا المربع الواسع هو الواقع بين نهري بوكراع وايتقي حيث تظهر الطبقات الفوسفاطية على سطح الأرض مباشرة.

وقد وضعت خطط كبيرة أسست من اجلها شركات وطنية إسبانية للاستغلال وبدأت الأعمال في توسيع ميناء طرفاية الذي كان من المؤمل أن يصبح ميناء التصدير الرئيسي والوحيد.

ولكن الملفات الخاصة بهذه المشاريع حفظت في الخزائن حيث أن إقدام السلطات الفرنسية على نفي المغفور له محمد الخامس وقيام الشعب المغربي من أقصى الصحراء إلى البحر المتوسط بحركته التاريخية لاستعادة الكرامة الوطنية الممثلة في الملك، جعلت القلق يساور الأوساط الاقتصادية حول مصير استغلالها، ويساور السياسيين أيضا حول مصير الصحراء نفسها.

وبعد استقلال المغرب، استمرت الثورة في الجنوب لإجلاء الإسبان، وسلمت الدولة الإسبانية منطقة طرفاية إلى المغرب وهي التي كانت مندمجة في الساقية الحمراء، وكان الأمل معقودا عليها لتصبح المنفذ الوحيد لخيرات الصحراء نحو الخارج.

وهدأت الأحوال في نهاية 1959، واستدعيت شركات أجنبية، وأهمها شركات أمريكية للمساهمة في استغلال الفوسفاط، وتكونت شركة مختلطة فرنسية إسبانية هي (مؤسسة الاستغلال التعاوني للصحراء الإسبانية) خططت لمشروع نقل الفوسفاط إلى ميناء يقام عند فم الواد، ونقل الحديد الموريطاني إلى ميناء فيلاسينيروس، حتى لا يدور دورة كبيرة حول المنطقة المشمولة بالاستعمار الإسباني قبل وصوله إلى نواديبوا، ولكن الدراسات أظهرت أن إقامة ميناء واسع في فيلاسينيروس غير ممكن لامتداد النجد القاري البحري وعدم وجود العمق الكافي، وتأسيس ميناء في فم الواد أو غرب العيون غير ممكن لأن المنطقة رملية وتغزوها الكثبان المتنقلة باستمرار.

وبينما كان خبراء من مختلف الجنسيات يقومون بأعمال الحفر، فاجأهم الصحراويون وأسروا منهم أحد عشر خبيرا، وأوصلوهم إلى الرباط حيث سلموهم لجلالة الملك (مارس 1961). وهكذا، وبمناسبة تسليم أولئك إلى سفراء دولهم من قبل جلالة الملك الحسن الثاني أكد على أن كل عمل تقوم به إسبانيا هو عمل غير شرعي ولا يكتسي سوى طابع التعسف والانتهاز لأن الصحراء هي أرض مغربية وما يوجد فيها من خيرات هو ملك للشعب المغربي.

ورغم جهود المغرب لاسترجاع صحرائه، وما حققه من نجاح لإيقاف تعاون الشركات الأوروبية والأمريكية الكبرى مع الشركة الوطنية الإسبانية، وتفهم البنك الدولي للإنشاء والتعمير لعدالة موقف المغرب وعدم رضاه عن أي استغلال لخيرات أراضيه، فان الإسبان استمروا في بذل الجهود والأموال لاستخراج الفوسفاط. وهكذا ففي عام 1965 كانت قد أجريت اكثر من 600 عملية حفر بلغ عمقها الإجمالي 30 ألف متر، وعدد فتحاتها اكثر من 90.000 حفرة.

وقد عهد إلى شركة ألمانية بإنشاء ميناء عائم غرب مدينة العيون يحتوي على رافعات تستطيع كل واحدة منها أن تنقل 200 طن متري في اليوم وطاقة الميناء السنوية تتراوح بين 9 و 13 مليون طن من الفوسفاط المحمول إلى البواخر سنويا.

ويصل الفوسفاط من بوكراع في جنوب غرب السمارة إلى الميناء – العائم في ظرف ساعة

ونصف بواسطة سلسلة متحركة، بدأت عملها في نهاية 1968 بعد أن تم تزويد المنطقة بين بوكراع والعيون (100 كلم) بالتيار الكهربائي. وحدث أن تخربت أعمدة الكهرباء وبعض أجزاء من السلسلة، بحيث ان أول دفعة من الفوسفاط وكانت لا تزيد عن 6.000 طن لم تصل إلى الميناء إلا في نهاية 1970. وبعد ثلاث سنوات بلغ الإنتاج 3 ملايين طن. وفي شهر دجنبر 1973 كان قد صدر من الفوسفاط عشرة ملايين طن، بينما كانت النفقات قد تجاوزت 14.2 مليون بسيطة.

2) البترول

وفي زحمة التهافت الأجنبي للحصول على أذونات البحث عن النفط في الصحراء الإفريقية، صدر قانون إسباني (31 دجنبر 1958) يحدد الأماكن المسموح فيها للشركات بالبحث، ويعطي حقا متساويا للإسبانيين والأجانب في عمليات التنقيب والاستثمار، والقانون الذي يحتوي على 88 بندا يحدد أجل ست سنوات يتم في نهايتها تقديم أولى نتائج البحث، وأية شركة قدمت ذلك في غضون المدة تمنح علاوة تقدر ب 25 في المائة من المصاريف، وإذا استمرت أيه شركة في بذل جهود ملحوظة يمكنها أن تستمر في العمل لمدة نصف قرن.

وفي حالة العثور على النفط تأخذ الدولة الإسبانية 12ر5 في المائة من صافي الأرباح كما أنها تحدد باتفاق مع الشركة الكمية العينية التي تحصل عليها إسبانيا.

و المساحة التي توزعتها الشركات المنقبة هي 125 ألف هكتار كلها تقريبا تقع تقريبا على النجد القاري البحري، وبعد سنتين من صدور القانون كانت خمسون شركة قد حصلت على مناطق خاصة بها.

واستمرت الأعمال، ولكن أغلب الشركات الهامة انسحبت من العملية لظروف سياسية وتمويلية أشرنا إليها، وقد ظهر النفط في شهر غشت 1969 في المنطقة البحرية (1/51) على عمق 3446 مترا وتم الاكتشاف بواسطة الباخرة (كلومار 3)، وفي سنة 1971 عثر على كميات من النفط في منطقة (فم الواد) شمال مدينة العيون.

ولكن تبين بشكل قاطع أن النفط في هذه الجهات كله لا يتعدى مخزونا متواضعا، وعليه فإن الجريدة الرسمية كانت تنشر باستمرار أسماء الشركات التي تنزع منها رخص البحث.

3) البوتاس و النحاس

يوجد المعدن الأول في السبخات الداخلية غرب الحمادة في الساقية الحمراء، ولكن الكميات المتوفرة لا تتناسب مع ما يجب القيام به من تجهيز، وأما النحاس الذي كان معروفا منذ القديم في جبل انيال فقد عثر عليه أيضا في منطقتي تلماديت وأهل العينة ولكنه كثير الرواسب وكمياته الاحتياطية محدودة.

4) الإنتاج الزراعي والثروة الحيوانية

منطقة الساقية الحمراء، رغم توفرها نسبيا على كميات من الماء تتمثل في الآبار والضايات التي تحتفظ ببعض المياه المتساقطة خلال فصل المطر القصير، لا تقوم فيها زراعة إلا على مستوى محدود جدا.

والواحة التي تقوم حول بئر اوعني هي النقطة الخضراء الوحيدة في هذه الصحراء المترامية الأطراف.

ويزرع السكان الشعير و الذرة وبعض الخضار في أماكن تواجد المياه، وعلى قلة النسمات البشرية في الساقية الحمراء، فإن المواد الزراعية الاستهلاكية تجلب من خارج المنطقة.

والاقتصاد الفلاحي، على هذا الأساس متواضع جدا، ويزيد من عدم الاهتمام به انعدام أي تفكير عند المستثمرين في استغلال مصادر المياه على النحو المرغوب. ولقد كانت التجربة للري في واحة المسيد وعلى طول وادي الخط قد أنجزت وقادت إلى نتائج هامة حيث نجحت زراعة القمح والذرة والبطيخ والخضار، ولكن تلك التجربة لم يتبعها أي توسع في جهات أخرى مما يدل على وجود سياسة مبيتة لتجويع السكان واضطرارهم للجوء إلى الأجنبي.

وتعتبر تربية المواشي أهم جانب في القطاع الفلاحي، ويوجد في منطقتي الساقية الحمراء ووادي الذهب حسب إحصاء 1972:

- 39.000 جمل
- 57.800 رأس من الماعز
- 11.230 رأس من الغنم.

وحسب نفس الإحصائيات (وهو غير دقيق فيما يبدو) تتوفر القبائل على:

- الرقيبات: 16.300 راس من الجمال.
- أولاد تدرارين: 5.973 رأس من الجمال.
- أولاد دليم: 4200 راس من الجمال.
- العروسيون: 4.183 رأس من الجمال.
- يكوت: 3.059 رأس من الجمال.
- الزرقيون: 5.040 رأس من الجمال.

وفي بعض الخيام ينوب كل شخص 9 من الإبل و 83 من الماعز ولكن هذه النسبة ليست عامة.

5) الصيد البحري

إن مهنة الصيد التي كانت معروفة منذ القديم، ولكنها انحصرت في بعض القبائل الصغيرة التي تعيش في الجنوب الغربي من وادي الذهب (قبيلتا المراعن والشناكلة)، ويستعمل السكان قوارب صغيرة وشباكا من الأسل الأخضر والدوم، وتباع الكميات المصطادة في الداخل بعد تمليحها، والسمك بصفة عامة لا يستسيغه الصحراوي.

ولقد انتبه الأسبانيون الذين يعتبر السمك، طعامهم الشعبي، لكميات الأسماك التي تتوافر على النجد القاري من فيلا سيسنروس حتى الكويرة، وجودتها، فاتوا بقواربهم منذ مطلع هذا القرن للصيد، وكانت الأسماك المصطادة ترسل إلى الكناري.

ومنذ الحرب العالمية الثانية تكونت شركتان كبيرتان في الكويرة والداخلة، وأصبح أسطول الصيد في الجهة من أضخم أساطيل الصيد في العالم. وبعد عقد الاتفاق الإسباني الموريتاني أصبحت الصحراء تؤمن 35 في المائة من الاحتياجات الإسبانية.

وأشهر أنواع السمك هنا: السرطان البحري، والأخطبوط والقرب وذئب البحر، ويستخرج الزيت من سمك المارو في معمل بالكويرة.

وقد ارتفع مدخول الصيد البحري من 43 مليون بسيطة عام 1969 إلى 52ر5 مليون بسيطة في سنة 1973.

الصناعة

كما ميزنا بين قطاعين فلاحيين يجب التمييز أيضا بين الصناعة الحديثة والصناعة التقليدية بالمنطقة.

فالصناعة المتطورة التي يختص بها الأجانب تتركز في مدينتي العيون والداخلة، وهي تعتمد في الدرجة الأولى على تحويل المواد الأولية المتوافرة بالمنطقة، والمعامل من الحجم المتوسط وتختص بتمليح السمك وتعليبه، ومعالجة أعشاب البحر، والصمغ، وصناعة الأجر، وطحن عظام الأسماك.

وحسب إحصاء 1972 فإن مجموع العمال في الصناعة والتعدين لا يتعدى 1973 كما أن عدد العاطلين المسجلين في مكتبي الشغل 213 عاطلا.

أما القطاع التقليدي فهو متواضع جدا، فعند بعض القبائل، أو في المراكز الشبه مدنية نجد صناعا يعالجون الفضة والذهب، وبعض المشاغل لنسج البسط أو للدباغة أو لتركيب سروج الإبل ولوازم الخيام.

وبصفة مجملة فإن الصحراء، بقطع النظر عن نمط الحياة الذي أنشأه الإسبان لجاليتهم، لازالت تعيش حياة البداوة التي عرفتها منذ قرون، وأن مقارنة بسيطة وعابرة بين ما حققه المغرب في عمالة طرفاية التي لم تكن تختلف في شيء عن المناطق الواقعة جنوبا، وبين حالة المواطنين في الساقية الحمراء ووادي الذهب لتظهر إلى أي حد يمكن للدولة أن تقوم به إذا ما كانت سيادتها مركزة على كل شبر من ترابها.

إن ازدهار الصحراء ورفاهية أبنائها مرتبطان بيوم عودتها إلى التلاحم مع بقية أجزاء الوطن وليس ذلك اليوم بعيد.

وثائق

● رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ 6 صفر 1277 هـ (1960 م) يخبر فيها عامله بالصحراء باطلاعه على أحوال السودان . وبتسجيله نازلة حصلت في أقصى الصحراء عند عدول مدينة مراكش ..

● رسالة من السلطان سيدي محمد بن عبد الرحمان بتاريخ جمادي الاولى 1277 (1860 م) الى عامله بالصحراء و السودان يخبره فيها بتسلمه هدية من السودان ويظهر فيها ارتياحه للخصب الذي عم الصحراء وموريطانيا والمناطق السوداء ،،

● رسالة من السلطان المولى عبد العزيز الى قائد تكنة الحاج خليفة ،،

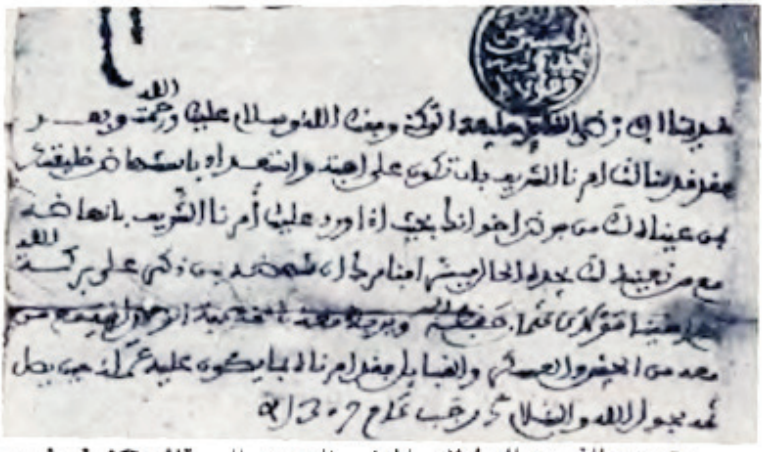

● رسالة من السلطان المولى الحسن الى قائد تكنة يأمره بالاستعداد لمحاربة الاجانب ،،

ولن ترضى عنك اليهود
ولا النصارى
حتى تتبع ملتهم

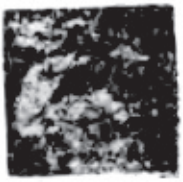

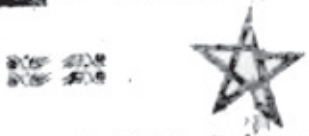

ايها الرفيقات الشرفاء . ايها الاخوة في الدين والوطن والنسب :
اننا نوجه اليكم جميعا هذا النداء لتبلغوه لقبائلكم خاصة ولاهل الصحراء
الجزائرية عامة .

ان الاستعمار الخبيث يحاول ان يحكم عليكم مكرا ويسعى كل الساعي ليكون [illegible]
[illegible]
ان الاستعمار يعلم علم اليقين [illegible] واتحادكم وتضامنكم وبالتالي سلامة [illegible]
ومجاهداكم الصالحة تستطيعون تحرير بلادكم من حكم النصارى وتساهمون حينذاك
في تحقيق وحدة المغرب واسترجاع المجد والسعادة لجميع ابنائه .

اخواننا الرفيقات اعلموا ان مصيركم مقرون بمصير المغرب لا محالة . ولن
تسعدوا انكم لا يمكنها ان تتحقق الا اذا كنتم محاربة احرارا . ان المغرب هو وطنكم كهذا
تحافظ وطن اسلافكم من قبلكم قائم اخي فيا على غيركم فلا تتركوا لعدو المغرب وعدوكم
اية فرصة ينتهزها من جانبكم لبث الفتنة وخلق الدعاء بينكم لصالح المستعمر المجرم

ايها الشرفاء الرفيقات لا تنسوا انكم من سلالة اشراف كرام وذلك هو السبب
يجعل عليكم واجبا مقدسا اكثر من اي شعب غيركم . فالدين والمروءة كلاهما يناديكم
حالا محاربة المستعمر الظالم ومعاقبته في العاجل وفي المستقبل تحتم عليكم ذلك ايضا

ان المغرب وعلى راسه صاحب الجلالة [illegible] المومنين نصره الله يقدر احسن تقدير
الايام المجيدة التي كنتم دائما تكتبون بماء الذهب في صفحات جهاد الشعب المغربي لن
تسمعوا ابدا لاي خائن مهما كانت منزلته بينكم ان يصدكم عن اداء واجبكم الوطني
ولا عن متابعة عملكم الشريف الذي يكتم بفضله اعجاب الناس جميعا .

ولا شك انكم تعلمون ان المصير الذي ينتظر كل خائن هو خسران الدارين
الخزي والعار والمذلة هم جزاؤه في الدنيا واما الاخرة فسيعاقب اشد العقاب وسيصير
مصيره بلدكم لا يتعلق الا بكم وان ابواب المغرب مفتوحة لكل مجاهد منكم يريد
محاربة المستعمر
واعتبروا هذه الرسالة فاتحة الخير والاصلاح

● من المناشير التي توزع داخل الصحراء المغربية ..

● من المناشير التي توزع داخل الصحراء المغربية ،،

صور

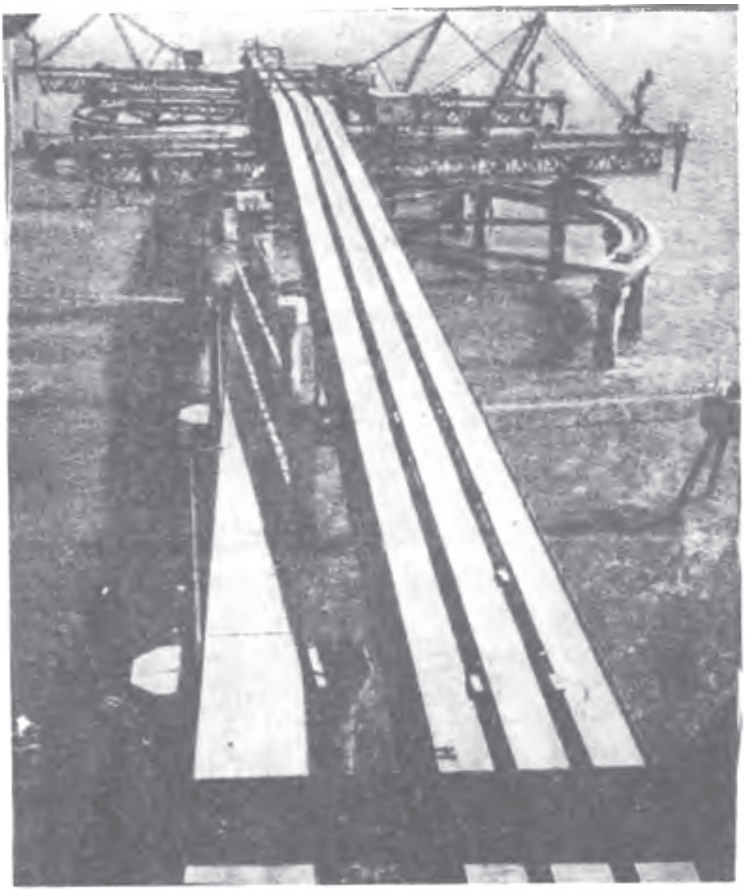

● ميناء « العيون » العائم ،،

● منظر عام لمدينة العيون ،،

● ميناء فيلا سينيروس الذي تكاد تمتلكه شركات الصيد في الكناريا مع جميع بنايات المدينة الكبرى ،،

● المنظر الخارجي لاكبر كنيسة في العيون ..

● الساحة الكبرى لفيلا سينيروس يتوسطها نصب لاحد القساوسة ..

● مدينة العيون وهي محاصرة بالجيش الاسباني بعيد اعلان استقلال المغرب ،،

● المطار المدنـي للعيـون ، وبالقرب منـه يوجد المطـار العسكري ، ومدرج طائرات الهيلوكوبتر ،،

● المدرسة الثانوية الوحيدة بالصحراء (87٪ من الاروبيين)

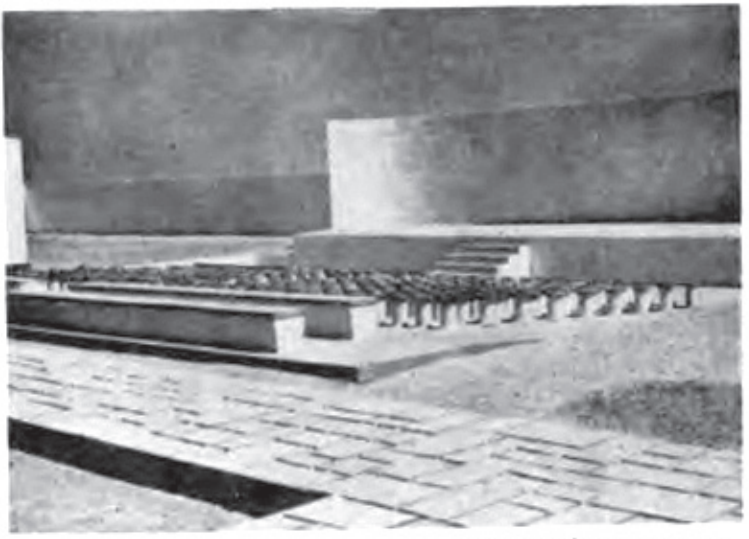

● مسرح فيلاسينيروس ،،

● ساحة « اسبانيا » في العيون ..

● مساكن الضباط والجنود بالعيون ..

● صحراوي من الركيبات ، وقد ظهرت على وجهه ملامح الاباء والشجاعة ..

● شاطيء وادي الذهب ـ المنظر مأخوذ بالقرب من الداخلة (فيلاسيزنيروس) ..

● اقصى الجنوب الشرقي من وادي الذهب ..

● اقصى شمال الساقية الحمراء ..

● الشاطئ الصخري جنوب الداخلة .

● مجموعة المدارس « الاهلية » الوحيدة بالعيون ..

● احد الاقسام بمدرسة « اهلية » ..